أدب السيرة في التُّراث العربي
Biography Literature in the Arabic Heritage

Alaa Ali Abeda (*) **علاء علي عابدة**

Supervisor: Prof.Dr.Ali Mahdi Zaitoun (**) **المشرف: أ.د.علي مهدي زيتون**

تاريخ الإرسال:2026-1-19 **تاريخ القبول:2026-1-31**

الملخص **Turnit in:9%**

يبحث هذا المقال في تجليّات أدب السّيرة في التّراث العربي، بوصفه خطابًا ثقافيًا يعكس وعي الإنسان العربي بذاته ضمن أطر دينيّة وأخلاقيّة ومعرفيّة محددة.وينطلق البحث من فرضيّة مفادها أنّ السِّيرة لم تغب عن الثقافة العربية الكلاسيكيّة، بل حضرت في أشكال غير مباشرة، متخفّية داخل أجناس أدبية متعددة مثل كتب التّراجم والطبقات، وأدب الرحلة، والكتابات الصوفيّة، والمقدمات العلميّة.ويعتمد البحث المنهج الوصفي التّحليلي، مع الإفادة من أدوات النقد السردي والثقافي، للكشف عن خصوصية تمثيل الذات في التّراث العربي.ويخلص إلى أنّ أدب السّيرة في التراث العربي يشكّل بنية خطابيّة متوازنة تجمع بين الفردي والجماعي، وتمنح التّجربة الشّخصيّة بعدًا معرفيًا وتربويًا يتجاوز البوح الذاتي.

الكلمات المفتاحيّة: أدب السيرة، التّراث العربي، الذّات، التّراجم، الرّحلة.

Abstract:

This study examines the manifestations of biography literature in Arabic heritage as a cultural discourse reflecting the Arab individual's awareness of the self within religious, ethical, and epistemological frameworks.The research argues that biography was not absent from classical Arabic culture but appeared in indirect forms embedded within various literary genres such as biographical dictionaries, travel literature, Sufi writings, and scholarly introductions.Adopting a descriptive-analytical approach, the study reveals the distinctive nature of self-

* طالب دكتوراه في جامعة الجنان- لبنان- قسم اللغة العربية وآدابها.

PhD student at Jinan University - Lebanon - Department of Arabic Language and Literature.E-mail: alaaabeda170@gmail.com

** أستاذ دكتورفي جامعة الجنان- لبنان- قسم اللغة العربيّة وآدابها.

Professor at Al-Jinan University - Lebanon - Department of Arabic Language and Literature.E-mail: A.m.zaitoun@hotmail.com

personal life into a source of knowledge and reflection.

Keywords: Biography, Arabic Heritage, Self, Travel Literature, Biographical Writing.

المقدمة

يُعدّ أدب السِّيرة من الأجناس الأدبيّة التي ارتبطت بالإنسان منذ بدايات الوعي بالذات[1]، إذ يمثّل محاولة لفهم التّجربة الفرديّة وإعادة تنظيمها ضمن خطاب يمنحها المعنى والدّلالة.غير أنّ هذا الجنس الأدبي، على الرّغم من عالميته، لا يتشكّل في الثقافات جميعها على الصّورة نفسها، بل يتأثر بالأنساق الفكريّة والقيميّة السائدة في المجتمع الذي ينتجه.

وفي الثقافة العربيّة الإسلاميّة، لم تتبلور السيرة الذّاتية بوصفها جنسًا أدبيًا مستقلًا كما في الأدب الغربي الحديث[2]، غير أنّ هذا الأمر لا يعني غياب الكتابة عن الذّات، بل يدل على خصوصيّة في تمثيلها. فقد حضرت الذّات في النّصوص التّراثية ضمن سياقات معرفيّة وأخلاقيّة متعدّدة، جعلت من التّجربة الشّخصيّة وسيلة للتّعليم والاعتبار، لا غاية في ذاتها.

ينطلق هذا البحث من إعادة قراءة النّصوص التّراثية قراءةً سِيرية، لكشف أنماط حضور الذّات، وحدود التّعبير عنها، والوظائف التي أدّتها داخل الخطاب الثقافي العربي.

representation in Arabic heritage and concludes that biography literature constitutes a balanced discourse combining individual experience with collective values, transforming

إشكاليّة البحث: تتمحور إشكاليّة البحث حول السؤال الآتي: كيف تجلّى أدب السِّيرة في التُّراث العربي، وما الخصائص الفنيّة والفكريّة التي حكمت تمثيل الذّات في هذا التّراث؟ ويتفرع عن هذا السؤال عدد من التّساؤلات الفرعيّة المتصلة بطبيعة الخطاب السِّيري، وحدود الصّراحة والكتمان، والعلاقة بين الفرد والجماعة في النّصوص التراثيّة.

أهمية البحث: تنبع أهمّيّة هذا البحث من كونه يسهم في إعادة الاعتبار لأدب السِّيرة في التُّراث العربي، ويكشف أبعادًا مهملة في دراسة النّصوص الكلاسيكيّة، كما يفتح آفاقًا جديدة لفهم مفهوم الذّات في الثقافة العربيّة، ويثري الدّراسات الأدبيّة والنقديّة المعاصرة.

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضيّة مؤداها أن أدب السِّيرة في التّراث العربي كان ممارسة ثقافيّة واعية، خضعت لضوابط دينيّة وأخلاقيّة ومعرفيّة، حدّت من صراحته المباشرة، لكنّها لم تلغِ حضوره أو عمقه الدّلالي.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف العلميّة، في مقدمتها:

رصد تجليّات الكتابة السِّيريّة في التُّراث العربي، وكشف أشكال حضور الذّات في الأجناس الأدبيّة والمعرفيّة المختلفة.

تحليل البنية السَّرديّة والفكريّة للنّصوص السِّيريّة التُّراثيّة، وبيان الخصائص الفنيّة التي تميّزها عن السِّيرة الذّاتيّة الحديثة.

كشف العلاقة بين الفرد والجماعة في الخطاب السِّيري التُّراثي، ودور المنظومة القيميّة والدّينيّة في توجيه تمثيل الذّات وضبط حدود الإفصاح عنها.

الإسهام في إعادة قراءة التُّراث العربي قراءةً سِيريّة حديثة، تُبرز أبعاده الإنسانيّة والمعرفيّة، وتفتح أفقًا نقديًا جديدًا في دراسة مفهوم الذّات في الثقافة العربيّة الكلاسيكيّة.

الدّراسات السّابقة: حظي موضوع السِّيزة الذاتيّة في الأدب العربي باهتمام عدد من الدّراسات النقديّة الحديثة، غير أنّ معظمها انصرف إلى تتبّع تشكّل السِّيرة الذاتيّة في الأدب العربي الحديث والمعاصر.فقد تناول إحسان عباس مفهوم الكتابة السِّيريّة من زاوية فنيّة، مركّزًا على تطوّرها الشكّلي والسّردي في الأدب العربي الحديث، ومشيرًا إلى محدودية حضور السِّيرة الذاتيّة الصّريحة في التُّراث العربي[3].

كما قدّم عبد الله إبراهيم دراسةً موسّعة في كتابه السِّيرة الذاتيّة العربيّة[4]: المفهوم والأنواع والتحوّلات، ركّز فيها على تحوّلات الخطاب السِّيري في الثقافة العربيّة، مع اهتمام خاص بالسِّيرة الحديثة، وتناول التُّراث العربي بوصفه مرحلة تمهيديّة غير مكتملة في الوعي بالذّات الفرديّة.

أمّا عبد السّلام المسدي، فقد عالج إشكاليّة الذّات والهويّة في الخطاب العربي من منظور ثقافي ولساني، دون أن يتوقّف طويلًا عند الأبعاد السِّيريّة في النُّصوص التُّراثيّة.

وانطلاقًا من هذه الدّراسات، يتّضح أنّ التُّراث العربي لم يُقرأ بعد قراءةً سِيريّة معمّقة تكشف آليات تمثيل الذّات ضمن الأجناس التُّراثيّة المختلفة.ومن هنا تأتي هذه الدّراسة لتقديم مقاربة مغايرة، لا تنظر إلى السِّيرة الذاتيّة بوصفها جنسًا مغلقًا،

بل بوصفها ممارسة ثقافيّة تتجلّى في التّراجم، والرّحلة، والكتابة الصُّوفيّة، والمقدّمات العلميّة، ضمن منظومة قيميّة وأخلاقيّة خاصّة بالثقافة العربيّة الإسلاميّة.

منهج البحث: يعتمد البحث المنهج الوصفي التّحليلي، بوصفه المنهج الأنسب لدراسة الظواهر الأدبيّة والثقافيّة في سياقها التّاريخي والمعرفي.ويقوم هذا المنهج على وصف النُّصوص التُّراثيّة وصفًا دقيقًا، وتحليل بنيتها السَّرديّة والدّلاليّة، وكشف آليات تمثيل الذّات داخلها، من دون إسقاط أحكام مسبقة أو نماذج جاهزة

مستمدة من تجارب ثقافيّة مغايرة.كما يستفيد البحث من أدوات النّقد السّردي والثقافي، في تحليل علاقة الذّات بالخطاب، وتفكيك العلاقة بين الفرد والجماعة، وتتبع الوظائف المعرفيّة والأخلاقيّة التي أدّتها الكتابة السِّيريّة في التُّراث العربي.ويتيح هذا المنهج الجمع بين الوصف الموضوعي والتّحليل التأويل.بما ينسجم مع طبيعة النّصوص المدروسة وخصوصيتها الثقافيّة.

المتن: قسمت دراسة بحثي الى فصول عدة وهي:

الفصل الأول: **مفهوم الذات في الثقافة العربية الكلاسيكيّة**[5]

تُعدّ مسألة الذات من أكثر المفاهيم تعقيدًا في الثقافة العربية الكلاسيكيّة، إذ لم تُطرح بوصفها كيانًا مستقلًا مكتفيًا بذاته، وإنما بوصفها عنصرًا فاعلًا داخل منظومة قيمية ومعرفية شاملة.فالذات في التصور العربي الإسلامي تتشكّل من خلال علاقتها بالدين والعلم والجماعة، وتُقاس قيمتها بمدى التزامها بالواجب الأخلاقي والمعرفي.

وقد انعكس هذا التّصور على أنماط التعبير الأدبي، إذ لم يكن الإفصاح المباشر عن التّجربة الشّخصيّة أمرًا مألوفًا، بل خضع لجملة من الضوابط الأخلاقيّة التي جعلت من الحديث عن النّفس فعلًا محسوبًا. فالتّحذير من تزكية النّفس، والخشية من الوقوع في الرياء، أسهما في توجيه الخطاب السيري نحو الصّياغات غير المباشرة.

وتظهر الذّات في النّصوص التّراثية غالبًا بوصفها ذاتًا شاهدة، لا مركزًا للسرد، فتتخفّى خلف الأحداث أو خلف الخطاب العلمي، أو تُقدَّم في سياق الحديث عن الآخر.ويمنح هذا الأسلوب الكتابة السِّيرية بعدًا رمزيًا، يجعل القارئ شريكًا في كشف ملامح الذات بدل تلقيها جاهزة.

كما يتّسم الخطاب السِّيري التُّراثي بالاقتصاد في التّعبير العاطفي، إذ تُروى التّجارب القاسية والمحن الشّخصيّة بلغة هادئة متزنة، تبتعد من المبالغة والانفعال، وهو ما يعكس وعيًا ثقافيًا بوظيفة اللغة بوصفها أداة للمعرفة لا للتّنفيس النّفسي.

ومن ثَمّ يمكن القول إنّ الذّات في الثقافة العربيّة الكلاسيكيّة ذاتٌ واعية بحدود خطابها، قادرة على التّعبير عن تجربتها ضمن أطر معرفيّة دقيقة، الأمر الذي يمنح أدب السِّيرة في التراث العربي خصوصيته وتميّزه.

الفصل الثاني: **السيرة في كتب التراجم والطبقات**: **بين الفرد والجماعة**

تُعدّ كتب التّراجم والطبقات من المصادر المهمّة التي حفظت ملامح الحياة الفكريّة والاجتماعيّة في التراث العربي[6]،

وهي في الوقت نفسه حقل خصب لدراسة حضور الذَّات ضمن خطاب يبدو في ظاهره موضوعيًا وتوثيقيًا.فقد انشغل المؤرخون والعلماء بتدوين سير الأعلام لا بدافع الفضول الشَّخصي، بل بهدف حفظ العلم، وتثبيت سلاسل الرواية، وتقديم النماذج الصالحة للاقتداء.

غير أنّ هذا الطابع الجماعي لا يُلغي حضور الفرد، بل يعيد تشكيله ضمن نسق معرفي وأخلاقي.فاختيار الأحداث، وطريقة عرضها، وتقييم الشّخصيّات، كلها عناصر تكشف رؤية المؤلف، وموقع الذات داخل الخطاب.وكثيرًا ما تتسلل السِّيرة الذَّاتية إلى هذه الكتب حين يترجم المؤلف لنفسه صراحة أو ضمنًا، أو حين يورد أخبار شيوخه وتلامذته، فيتحول النص إلى مساحة تداخل بين الذاتي والجماعي.

وتقوم الترجمة في هذه الكتب على بنية شبه ثابتة تشمل النسب، والمولد، والمشايخ، والرّحلات، والمؤلفات، والمحن، والوفاة.غير أن هذا الثّبات لا يمنع من اختلاف الأساليب، ولا يحجب البعد السَّردي الذي يمنح النّص بعدًا سيريًا واضحًا.فذكر المحن، على سبيل المثال، لا يأتي بوصفه خبرًا عابرًا[7]، بل يُقدَّم غالبًا في سياق أخلاقي يبرز الصَّبر والثبات، ويحوّل التّجربة الفرديّة إلى درس عام.

وتكشف هذه النّصوص ذاتًا تُعرَّف من خلال انتمائها إلى شبكة من العلاقات العلميّة والاجتماعيّة، لا من خلال فرديتها المطلقة.وبذلك تمثّل كتب التّراجم نموذجًا لسيرة تُكتب باسم الجماعة، لكنّها لا تخلو من صوت الفرد وحضوره.

الفصل الثالث: أدب الرحلة بوصفه سيرة ذاتية متحركة

يمثّل أدب الرحلة أحد أكثر الأجناس التراثيّة قدرة على التعبير عن الذّات[8]، إذ يقوم في جوهره على تجربة فرديّة تُروى بضمير المتكلم، وتعتمد على المشاهدة والمعايشة.فالرحلة ليست انتقالًا مكانيًا فحسب، بل هي مسار معرفي يعيد فيه الرحّالة تشكيل وعيه بذاته وبالعالم من حوله.

ويكشف النّص الرّحلي حضورًا قويًّا للذات السّاردة، التي تصف الأمكنة، وتُقيّم العادات، وتُبدي دهشتها أو استغرابها، مما يجعل الرّحلة وثيقة سيرية بامتياز. فالرحّالة لا يكتفي بوصف الآخر، بل يعيد تعريف ذاته من خلال هذا الوصف، فيغدو النّص مساحة للتفاعل بين الدّاخل والخارج.

وتتجلّى السيرة الذّاتية في أدب الرّحلة من خلال تسجيل التفاصيل اليوميّة[9]، والانفعالات الشّخصيّة، والمواقف الحرجة، وهي عناصر تمنح النّص بعدًا إنسانيًا واضحًا.غير أنّ هذه الذَّات تظل منضبطة بضوابط أخلاقيّة وثقافيّة، فلا تنزلق إلى

الاعتراف الفجّ، بل تحافظ على مسافة بين التجربة والبوح.

الفصل الرابع: السيرة الصوفية وتحليل التّجربة الدّاخليّة

تُعدّ الكتابة الصوفية من أعمق أشكال التعبير السيري في التراث العربي[10]، إذ تنتقل بالسيرة من مستوى الحدث الخارجي إلى مستوى التّجربة الدّاخليّة.فالصوفي لا يروي ما جرى له في العالم، بل ما جرى له في نفسه، إذ تصبح الكتابة أداة لفهم التّحوّل الروحي والمعرفي.

وتتميّز السّيرة الصُّوفيّة بجرأة نسبيّة في الاعتراف، لكنّها جرأة موجّهة نحو غاية تربويّة، لا نحو كشف الذات لذاتها.فالكاتب الصّوفي يعرض أزمته الفكريّة أو الرّوحيّة ليجعل منها مثالًا على مسار الهداية، لا على معاناة فرديّة معزولة.

وتتخذ اللغة الصّوفيّة طابعًا تحليليًا رمزيًا، يبتعد من التّقرير المباشر، ويعتمد الإشارة والاستعارة، مما يمنح السيرة بعدًا تأويليًا عميقًا، ويجعل القارئ شريكًا في استكشاف التجربة.

الفصل الخامس: السِّيرة العلميّة ومقدمات الكتب

تمثّل مقدمات الكتب في التراث العربي فضاءً مهمًا لتجلّي السيرة الذاتية في سياق علمي.ففي هذه المقدمات، يقدّم المؤلف نفسه، ويشرح دوافع التأليف، ويعرض مسيرته العلمية، ومصادر معرفته، مما يمنح النص بعدًا سيريًا واضحًا.وتكشف هذه المقدمات وعي المؤلف بموقعه داخل الحقل المعرفي، ورغبته في تثبيت شرعيّته العلميّة.وعلى الرّغم من الطابع الموضوعي الظاهر، فإنّ هذه النّصوص تحمل في طياتها إشارات إلى التّحولات الفكريّة، والصعوبات التي واجهت المؤلف، والعلاقات العلميّة التي شكّلت مساره.

وتتسم السِّيرة العلميّة بالاقتصاد اللغوي، والابتعاد من الذاتيّة المفرطة، غير أنّها تؤدي وظيفة توثيقيّة ومعرفيّة تجعل منها عنصرًا أساسيًا في فهم تاريخ العلوم والثقافة.

الفصل السّادس: الخصائص الفنية والسّرديّة لأدب السّيرة في التّراث العربي

يتسم أدب السِّيرة في التُّراث العربي بجملة من الخصائص الفنيّة التي تميّزه عن السِّيرة الحديثة.من أبرز هذه الخصائص التّداخل بين السرد والتقرير، فتمتزج الحكاية الشّخصيّة بالخطاب العلمي أو الأخلاقي.

كما تهيمن النزعة الأخلاقيّة والدّينيّة على الخطاب السيري، فتتحول التّجربة الفرديّة إلى وسيلة للعبرة والاعتبار. ويُلاحظ كذلك الاقتصاد في التّعبير

العاطفي، وحضور الذّات بوصفها شاهدة لا مركزًا للسرد.

وتكشف هذه الخصائص نمطًا سيريًّا متوازنًا، يجمع بين التّعبير عن التّجربة الشّخصيّة والالتزام بالقيم الجماعيّة، ويمنح أدب السّيرة في التراث العربي خصوصيته الفنيّة والدّلاليّة.

الخاتمة: يخلص البحث إلى أنّ أدب السيرة في التّراث العربي شكّل خطابًا ثقافيًا متماسكًا، عبّر من خلاله الإنسان العربي عن ذاته ضمن أطر قيميّة ومعرفيّة دقيقة، وأسهم في بناء رؤية متوازنة للعلاقة بين الفرد والجماعة، والتّجربة والمعرفة.

الهوامش

1- إحسان عباس، فن السيرة، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1996م ص9

2- عبد الله إبراهيم، السيرة الذاتية العربية: المفهوم والأنواع والتحولات، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط1، 2007م، ص 27-3

3- إحسان عباس، فن السيرة، مرجع سابق

4- عبدالله ابراهيم، السيرة الذاتية، مرجع سابق، ص65-78

5- عبد السلام المسدي، الذات والهوية في الخطاب العربي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2005م، ص 19-25

6- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1985م، ج1، ص 5-10

7- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1978م، ج1، ص 12-18

8- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1997م، ج1، ص 3-7

9- ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ط4، 1980م، ص 45-52

10- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا وكامل عيّاد، دار الأندلس، بيروت، ط5، 1986م، ص 7-10

المصادر والمراجع

أولا: المصادر التراثية

1- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1985م.

2- ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى،1978م.

3- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المنقذ من الضلال، تحقيق: جميل صليبا وكامل عيّاد، دار الأندلس، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة، 1986م.

4- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1997م.

5- ابن جبير، محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، 1980م.

ثانيًا: المراجع والدراسات الحديثة

1- إحسان عباس فنّ السيرة، دار الثقافة، بيروت - لبنان،الطبعة الثانية، 1996م.

2- عبد الله إبراهيم، السيرة الذاتية العربيّة: المفهوم والأنواع والتّحولات، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان / الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، 2007م

3- عبد السلام المسدي،الذات والهوية في الخطاب العربي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2005م.